نوفيلا
العهد
و
القدر
دعاء
سلطان

العهد والقدر

دعاء سلطان

غلاف خارجي: دعاء سلطان

داخلي وتنسيق: رحاب جمال زكريا

لينك صفحة الكاتبة على الفيسبوك

https://www.facebook.com/doaa.sultan.395?mibextid=ZbWKwL

قفزة و اثنتان بعدها تشبث بجذع الشجرة وتسلق عليها ثم انتقل لحافة سور المدرسة فهي بجانب الشجرة، سمع صوت يصيح به بغضب:

- أنت يا ولد تعال إلى هنا لقد رأيتك.

نظر لصاحب الصوت فكان المرشد ويحمل بيده عصا ويسير باتجاهه وعلامات الغضب تحتل ملامحه، ازدرد سيف ريقه ورمى بنفسه من على السور للخارج ليسقط على ساقيه فتألم لكن لا وقت لهذا، نهض وهو ينفض الغبار عن ثيابه بالنهاية (أهم شيء الأناقة)، وركض هاربًا من المدرسة وهذه ليست المرة الأولى فهو منذ سنته الدراسية الأولى وحتى هذه السنة السابعة يستمر بالهرب منها بين الحين والآخر فهو يرى أن المدرسة لا تليق له ولا يليق لها، ذهب لصالة الألعاب وبدأ بتنظيفها كما يفعل بالعادة فهو يأتي ليساعد صاحبها بالتنظيف مقابل مبلغ بسيط بأيام متفرقة، كان يمسح شاشة إحدى الحواسيب عندما اقترب منه صاحب الصالة ليعطيه أجرته:

- إلى متى ستستمر بالهروب من مدرستك؟ يمكنك أن تأتي بالمساء كل يوم كما تفعل أحيانًا وسأحسبها لك أجرة كاملة.

- لا يمكنني أن آتي كل يوم بالمساء و أيضًا لا تهمني المدرسة فهي لن تفيدني بشيء لذلك أفضل الهرب والقدوم لهنا لاكتسب بعض المال.

زفر الرجل بقلة حيلة ثم أعطاه أجرته:

- هيا غادر الآن فلقد انتهى دوام المدرسة.

ابتسم سيف وهو يأخذ المال ثم حمل حقيبته وخرج ليمر على عربة لبيع السحلب واشترى كوبان وتوجه للمنزل فوجد غياث يقف أمام باب منزله، تنحنح و اقترب بينما يتحاشى النظر لوجهه وكاد يطرق الباب فتحدث غياث:

- كيف لك عين لشراء السحلب بعدما هربت من المدرسة؟

- ماذا؟ هل تريدني أن أذهب للميدان وأعدم نفسي بمنتصفه بعدما أقدم خطاب ندم واعتذار؟!

زفر غياث وهو يحرك رأسه بيأس:

- أنت ميؤوس منك حقًا.

- هيا الآن لندخل ودعنا من هذا، بالمناسبة لمن كوبيّ السحلب بيديك؟

- لي ولياسمين.

- هل أنا صديقك أم ياسمين؟

- انظروا من يتحدث، أنت أيضًا أحضرت فقط لنفسك ولياسمين ثم أنت صديقي لكن هي زوجتي المستقبلية.

ركله سيف بقدمه.

- كرر هذا وسأقتلك.

- متوحش.

طرق سيف الباب لتفتح والدته ودخلا بعدما رحبت بغياث وتوجها لغرفة ياسمين التي سمحت لهما بالدخول بعدما طرقا الباب، دخلا ليجداها جالسة على السرير وبحضنها بعض الأوراق وقد صنعت منها أشكال مختلفة،

كانت تصغرهما بخمسة أعوام ويجب أن تكون في سنتها الثانية بالمدرسة لكن منذ سنتين أصابتها حمى شديدة وتعبت فجأة وبسبب تجاهل زوج والدته لحالتها وتأخرهم بعلاجها تبين أنه لديها اعتلال عصبي وحالتها متقدمة مما أدى لعدم قدرتها على السير مجددًا بشكل سليم، كان غياث دائمًا يأتي ليعلم ياسمين القراءة والكتابة بينما سيف يجيد ممازحتها وجعلها تبتسم فهو مرح جدًا، اقتربا من السرير لتبتسم مرحبة بهما:

- لقد أتيتما في الوقت المناسب فأنا أشعر بالضجر.

مد سيف يده بكوب السحلب لها.

- ولم أنسى السحلب الذي تحبينه.

أبعد غياث يده الممدودة قبل أن تأخذ الكوب ومد لها يده بكوب.

- أنا وصلت أولًا لأمام المنزل لذلك خذي مني.

نقلت نظرها بين يديهما ثم ابتسمت وأخذت من كليهما.

- يمكنني شرب كوبين فأنا أحبه كثيرًا.

ابتسما لها ثم رمقا بعضهما بقرف وأشاحا بوجهيهما عن بعضهما فضحكت عليهما وجلسوا ثلاثتهم يشربون السحلب وبعدها أعطاها غياث درسًا قصيرًا ثم بدأ سيف بممازحتها وإخبارها بأشياء كثيرة رآها بالخارج، لكن قاطع جلستهم البسيطة والبريئة اقتحام زوج والدته للغرفة وهو غاضب بشدة يصيح باسم سيف الذي أجفل عندما وجده يقف أمامه ويمسكه من ياقة قميصه.

- أخبرتُ والدتك كثيرًا أنك لا تفلح بشيء لكنها مصرة على إكمال تعليمك فأهدر مالي على أدوات مدرستك لتهرب أنت من المدرسة ثم يتصل بي أستاذك وتضعني بموقف محرج وسخيف كهذا لأنك محسوبًا علي كابن.

دخلت ميسون والدة سيف وبدأت تحاول تهدأته بينما تشبثت ياسمين بيد غياث وهي ترتجف فأخذ يربت على يدها لتهدأ أما سيف فكان بعالم آخر تمامًا، وقبل أن يقول شيء صفعه عماد وبدأ ينهال عليه بالضرب وسيف

لا يبدي أيّ ردة فعل بينما تعالى صوت بكاء شقيقته ووالدته، غضب غياث لصديقه فاقترب ليدافع عنه لكن دون فائدة، بعدما نزف أنف سيف وتورم خده أفلته عماد بقسوة فارتطم بالأرض بينما تحدث الآخر بلؤم:

- من الآن فصاعدًا لا يوجد ذهاب للمدرسة وستعمل لتصرف على نفسك وعلى شقيقتك لستُ ملزمًا بالصرف عليكما.

أنهى كلامه وخرج بينما انهارت والدته على الأرض أمامه وأخذت تضربه ضربات متتالية على ذراعه وهي تحدثه ببكاء.

- أخبرتك كثيرًا أن تلتزم بدروسك لقد حدث ما كنت خائفة منه هل أنت سعيد الآن؟

اقترب غياث وقد آلمه قلبه على صديقه المقرب، أخذ يمسح الدماء التي ملأت وجهه.

- خالتي إن سيف بحالة سيئة لنعالج جراحه ثم تحدثي

معه و أنبيه قدر ما تشائين و أيضًا ياسمين خائفة.

نظرت باتجاه ياسمين فوجدتها تبكي وترتجف وتحاول الوصول لشقيقها فوقفت و اقتربت منها لتضمها إلى صدرها بينما قام غياث بمساعدة سيف على النهوض وأخذه للحمام ليغسل وجهه وبعدها أخذه لغرفته وضمد جراحه والآخر لم يقل شيء أبدًا.

زفر غياث ونظر لصديقه الذي ينظر للفراغ.

- ما الذي تفكر به؟

- كنت أنتظر هذه اللحظة.

- ماذا تقصد؟

وأخيرًا نظر سيف له وتحدث بابتسامة تحمل الكثير من الألم:

- أنا أكره المدرسة ومنذ زواج والدتي أردتُ أن أعمل كي أتكفل بياسمين وبنفسي دون الحاجة لزوج والدتي ففي كل مرة تطلب منه أمي النقود لأجلنا يهينها كثيرًا وهو

يخبرها أنها يجب أن تركع له لأنه يتكفل بنا وهو غير مجبر و أنا لا أحتمل رؤيتها هكذا لذلك لستُ حزينًا وسأعمل بجِد كي أجني المال ولا نحتاجه حينها لن يهين أمي.

ضغط غياث على يده والتمعت عيناه بالدموع، هو بالفعل يعلم بوضع سيف لأنه يعرفه منذ الطفولة فوالدته تكون صديقة ميسون، لكن هذه أول مرة يشعر بهذا الألم لحاله فرغم ظروف صديقه الصعبة لم يلتمس كل ذلك الألم من قبل لأنه يعيش حياة مستقرة وهادئة في جو أسري مليء بالحب، لم يكن بيد غياث شيء لفعله سوى أن يقترب من سيف ويعانقه.

- أنت شجاع حقًا وفخور أنه لدي صديق مثلك.

- و أنا سعيد لأنك صديقي.

ابتسما ليهونا على بعضهما ثم عادا لياسمين كي يطمئناها.

نحن لا نحتاج الأصدقاء كي نكسروحدتنا بل نحتاجهم كي يكونوا لنا أجنحة نحلق بها عندما نصطدم بسقف الواقع الأليم.

مرت عدة أيام وقد ترك سيف الدراسة نهائيًا فلقد فشلت كل محاولات والدته مع زوجها كي يعود للمدرسة، وفي ذات مساء كانت ميسون جالسة مع عماد تحاول معه مجددًا كي يعيد سيف للمدرسة فصاح بها غاضبًا:

- ألن تتوقفي عن الحديث بهذا الأمر ألا يكفيني أنني أتحملهما بمنزلي و أنتِ كل يوم تزنّين علي لأعيد ابنك الفاشل للمدرسة ألا تملين يا امرأة يبدو أنني دللتك كثيرًا حتى تماديتِ لكن من الآن أعرف كيف سأؤدبك.

عضت على شفتها وانهمرت دموعها بصمت فهي مجرد امرأة ترملت واضطرت للزواج بأول شخص يطلب يدها لتتخلص من حديث الناس بأنها لن تستطيع تحمل مسؤولية ولديها لوحدها وإن بقيت دون زواج ستجلس أسفل رحمة إخوتها وزوجاتهم وستكون فقط خادمة لهم هي وأولادها وحدث هذا بالفعل خلال السنة التي بقيت بها عندهم، وها هي تزوجت لكن انتقلت من جحيم لجحيم آخر، دفعها عماد بقرف وذهب لغرفة النوم

فاقترب سيف الذي شاهد ما حدث ووقف أمام ميسون ومد يديه ليمسح دموعها فنظرت له وأخذت تتصنع القوة بسرعة أمامه.

- توقفي عن هذا أرجوكِ.

- ما الذي تقوله يا ولد؟

- أمي أرجوكِ توقفي عن التوسل لزوجكِ من أجلي لا أريدك أن تُهاني بسببي لذلك توقفي فأنتِ تجعلينني أشعر بالسوء وكم أنني ابن سيء، لستُ حزين بسبب عدم إكمال دراستي بل أنا سعيد وأريد أن أعمل كي أصبح رجلًا مسؤولًا يعتمد عليه.

اقترب وعانق والدته فشدت عليه و انخرطت بالبكاء بينما كان يمسح على ظهرها ويحاول حبس دموعه.

بدأ سيف العمل بصالة الألعاب مقابل أجرة كاملة لكن بالكاد تكفيه هو وياسمين لذلك عادت ميسون للعمل بالخياطة كي تصرف على ولديها ولم يكن عماد مكترثًا

لشيء فالمهم ألا يتحمل عبئهما.

وفي إحدى مساءات الشتاء الباردة في منزل غياث كان قد أنهى واجباته وخرج من غرفته ليطلب من والدته أن تعد صندوق طعام مع مشروب دافئ كي يأخذه إلى سيف فغدًا عطلة لذلك يتأخر بالعمل اليوم، بدأت والدته بتجهيز صندوق الطعام بينما يقف بجوارها يتابعها.

- أتمنى أحيانًا لو أن سيف أخي كي يتخلص من كل معاناته فكلما قارنت بين ظروف كلينا أجدني أتنعم بالكثير من الأشياء على عكسه ولا أدري ماذا أفعل وهذا يحزنني.

نظرت غادة لابنها و ابتسمت له بحنان فهي فخورة بطريقة تفكيره وإدراكه للنعم التي يعيش بها و أيضًا لمعاناة صديقه المقرب ويحاول دائمًا أن يهون عليه، مسحت على شعره.

- أفضل شيء تفعله هو أن تبقى صديقًا وفيًا له وتشاركه دائمًا الأشياء التي تسعدك ولا تتصرف بتكبر معه أبدًا.

هز غياث رأسه.

- حسنًا سأفعل هذا.

أغلقت الصندوق ووضعته بحقيبة مع زجاجة مشروب دافئ ووضعتها على الطاولة.

- هيا اذهب وأعطيه الطعام و انتبه لنفسك.

ارتدى سترته ثم حمل الحقيبة وخرج من المنزل، كانت صالة الألعاب قريبة من منزله وكذلك من منزل سيف، دخل لصالة الألعاب وبحث عن سيف بنظره ليجده يحمل زجاجات المشروب الغازي ويوصلها للزبائن بينما يلعبون على الحواسيب، وقف ينتظره أن ينتهي من توزيعها ثم ناداه فنظر له سيف و ابتسم ليقترب منه بسرعة.

- أهلًا أهلًا هل أتيت للعب أم لرؤية وسامتي؟

- ربع ثقتك وسأكون بألف خير.

- ما هذا هل أحضرت لي الطعام؟

وأشار للحقيبة التي يحملها غياث.

- أجل وأحضرت معي بعض المال كي نلعب قليلًا.

- أحيانًا أشعر أنك أمي من شدة حنانك علي أخشى أن تفسدني بدلالك لي.

- أنت محق فالأم حنونة جدًا ولكن بذات الوقت إن ضربت ابنها لأن لسانه طويل لن يكلمها أحد.

ركله بقدمه.

- وتقول عني أني متوحش!

سحب من يده حقيبة الطعام وجلسا جانبًا ليتناول ما أحضره غياث بشهية فلقد كان جائعًا وبعدما انتهى طلب غياث من صاحب الصالة أن يعطي بعض الوقت لسيف كي يلعبا مباراة واحدة فوافق الرجل ودفع غياث عنه وعن سيف الذي قال له:

- في المرة القادمة عندما أخذ أجرتي سأشتري لك وليا سمين شاورما وسأدفع عني وعنك لنلعب مباراة.

-سأكون مسرورًا بهذا جدًا.

جلســا ليلعبا و انتهت المباراة بفوز ســيف الذي بدأ يقفز بعد فوزه.

- لا يمكنك يا ملتهم الكتب أن تهزمني باللعب.

رمقه غياث بطرف عينه.

- إنها مجرد لعبة لست مهتمًا كثيرًا بالفوز.

وفي الحقيقة كان سيبكي لأنه خسر.

مرت عدة سنوات وأصبح كليهما بربيعهما السادس عشر، كان غياث مجتهد ومتفوق بدراسته وقد حصل هذا العام على مجموع ممتاز بينما قام ســيف بتغيير عمله وأصــبح يعمـل في متجر كبير وبـأجرة أعلى ومع حلول الصــيف و انتهاء الدراســة انضــم له بالعمل غياث وكانا يمضــيان الكثير من الوقت الممتع معًا وهذا ما هون التعب، طوال الســنوات التي مضــت كان غياث اســم على مســمى فلقد أغاث سيف كثيرًا وساعده بأمور عديدة وكان الآخر ممتنًا

له جدًا وطبعًا استمر غياث بإعطاء الدروس لياسمين التي كانت تزداد رقة وجمال كلما كبرت وقد بلغت ربيعها الحادي عشر.

في إحدى نهارات الصيف الحارة كانا بالمتجر ويرتبان البضائع، سيف على السلم يرتب الرفوف العالية وغياث يجلس القرفصاء، لكن فجأة هطل مطر من حبات الشوكولاتة بعدما ارتطمت علبة برأسه وقد سقطت من يد سيف الذي تعالت ضحكاته عندما تألم غياث ونظر له بحنق ليصيح به:

- أنت أحمق ألا يمكنك فعل شيء بشكل صحيح؟

- بلى، أجيد إزعاجك.

و انخرط بالضحك فأخذ غياث يهز السلم بينما سيف يقف عليه وبدأ يترجاه أن يتوقف لكن سقط أرضًا جالسًا فصاح بألم وهو يتوعد غياث الذي أخذ يضحك عليه.

- أردت فقط أن أجعل الأرض ترى وسامتك عن قرب.

- سأريك.

وحاول النهوض لكنه صاح بألم:

- ياه غياث توقف أظن أن حوضي كُسر لا أستطيع التحرك.

شعر غياث بالقلق فاقترب منه لكن أمسكه سيف بسرعة وثبته ليدخلا بصراع أيدي وكان يكذب فهو لم يحدث له شيء، توقفا عندما انتبها لفتاة تقف أمامهما وتنظر لهما باستغراب فتنحنحا ووقفا سريعًا لينفضا ثيابهما وذهب كل منهما باتجاه.

في ذات اليوم وبعد انتهاء العمل عادا معًا لمنزل سيف ودخلا بعدما رحبت ميسون بهما ولحسن الحظ لم يكن عماد هناك فلقد خرج مع أصدقائه، توجها لغرفة ياسمين ودخلا بعدما سمحت لهما بالدخول وكالعادة كانت تضع أمامها أوراق بألوان عديدة وتصنع منها أشكال مختلفة فهي تحب صنع الأشياء اليدوية، ابتسمت عندما

رأتهما وكانا قد أحضــرا لها العديد من المأكولات اللذيذة، جلس سيف على طرف سريرها وتحدث بمرح:

-لقد أحضــرنا الكثير من المأكولات التي تحبيها ولا يوجد لدينا شيء لفعله وهذا يعني أننا سنستمتع اليوم كثيرًا.

صفقت ياسمين يديها بسعادة.

-هذا رائع.

اقترح غياث أمر آخر:

- ما رأيكما أن نذهب للحديقة ونزيد المتعة.

- فكرة رائعة أنا مو افقة.

- سأخبر أمي.

أخذ سيف مو افقة ميسون فجهزت ياسمين ثم ساعدتها لتجلس على الكرســي المتحرك الخاص بها وخرجت مع ســيف وغياث وهما يتناوبان لدفع كرســيها، وصــلوا إلى الحديقة وكان الطقس جميل جدًا فالســاعة تشــير للســادســة وقد خفت حرارة الشــمس، اقترب ســيف من

الأرجوحة ووضع عليها ياسمين ليبدأ بدفعها وكانت الابتسامة تزين وجهها البريء، بينما توجه غياث للقضبان وبدأ يحاول القيام بشقلبة عكسية لكن فشل في أول مرة وثاني مرة ليسمع صوت سيف يضحك بينما يتابعه مع ياسمين.

- لمَ كل هذا الضحك؟

أجاب سيف ضاحكًا:

- لا شيء لكن رؤيتك و أنت لا تستطيع فعل هذا يجعلني أدرك أنه لا يليق بك سوى أن تمسك بالكتاب وتدرس.

عض غياث شفته بحنق.

- سأريك الآن كيف سأفعلها بشكل رائع، شاهديني جيدًا ياسمين.

هزت ياسمين رأسها وبدأت تشجعه بينما أخذ نفسًا عميقًا وهو يدعو أن ينجح بذلك ثم وضع كل قوته بيديه ونفذها بشكل صحيح فصفقت له ياسمين.

- هذا رائع لقد بدوت كلاعب جمباز.

استقام غياث بحركة استعراضية وهو ينحني.

- شكرًا شكرًا.

- إنها مجرد صدفة.

قالها سيف وهو يدفع ياسمين، اقترب غياث من مقعد وجره لقرب الأرجوحة ليجلس عليه وفتح حقيبة المأكولات التي أحضروها معهم.

- المهم أنني نجحت بتنفيذها والآن هيا لنستمتع قليلًا بهذه المأكولات اللذيذة.

جلس سيف بجانبه وكانا قرب ياسمين وهي على الأرجوحة، فتحوا زجاجات المشروب الغازي البارد وبدأوا بشربه مع الشوكولاتة والبسكويت وهم يتبادلون الأحاديث الشيقة، أثناء ذلك كانت الشمس تغرب وبأطراف الحديقة أزهار ياسمين بديعة الجمال نظر لها سيف وقال فجأة:

- ياسمين أترين أزهار الياسمين تلك؟

نظرت لها ياسمين.

- أجل ما بها؟

نظرلها و ابتسم.

- أنتِ جميلة مثلها وتزينين حياتي كما تزين هي هذه الحديقة لذلك كوني دائمًا مزهرة مثل هذه الأزهار.

ابتسمت ياسمين ابتسامة رقيقة وبدت فعلًا كزهرة ياسمين جميلة.

- سأفعل ولكن كي أزهر دائمًا ابقى بجانبي.

هزرأسه وبهذه الأثناء كان غياث قد ذهب باتجاه الأزهار وقطف منها القليل ثم اقترب من ياسمين ووضع ياسمينة بشعرها ثم أمسك بيدها ووضع باقي الياسمينات بها ونظر لها بابتسامة.

- سيف محق ولذلك أريدكِ أيضًا أن تزيني حياتي عندما نكبروتنشري شذاكِ حولي بعد أن تصبحي زوجتي.

دفعه سيف بقدمه.

-أيها الوقح كيف تجرؤ على قول هذا أمامي هل تريد الموت؟

و اقترب منه ليشده من شعره ودخلا بعراك كما فعلا بالمتجر وكانت ياسمين تحاول تهدأتهما، بعد مدة كانوا عائدين للمنزل يدفعان كرسي ياسمين وكلًا منهما بحالة كارثية وشعرهما يبدو كما لو أن قنبلة انفجرت به.

بينما ياسمين كانت تنظر لهما وتحاول كتم ضحكتها لكن هذا اليوم أصبح ذكرى جميلة فاليوم تلقت أول عرض زواج وحتى بعد مرور سنوات كثيرة لن تنساه.

بعض اللحظات لا تتجاوز ثوانٍ معدودة لكنها تدوم معنا حتى بعد أن يمر عليها الكثير من السنوات.

مرت ثلاث سنوات على ذلك اليوم تغيرت الكثير من الأمور حول هؤلاء الثلاثة، لكن بينما العالم يدور بسرعة كبيرة من حولهم ويتقدم استمروا هم بالحفاظ على ذلك الرابط القوي بينهم، تخرج غياث من الثانوية بدرجة عالية ودخل كلية فنون تشكيلية ولم يكن هذا حلمه بل حلم ياسمين التي أخبرته ذات مرة أنها لو تعلمت كانت ستدرس فنون تشكيلية ومنذ ذلك اليوم قرر أن يدخل هذا المجال ويحقق حلمها رغم أن مجموعه كان يمكنه من دخول هندسة ورغم رفضه لدخولها شجعاه والداه وكانا سيف وياسمين يدعمانه وممتنان له جدًا، بينما كان سيف قد ترك العمل في المتجر وبدأ يعمل في معمل للبلاستيك واستقر بالعمل هناك فالراتب جيد جدًا وقد استأجر غرفة مع حمام ومطبخ كي يبتعد عن مشاكل عماد زوج والدته فلقد كثرت شجاراتهما في تلك السنوات وبالنهاية طرده عماد وكان سيغادر بكل الأحوال رغم أنه يبقى قلقًا على ياسمين وأمه لذلك كان يعمل كثيرًا كي

يحاول استئجار شقة وأخذ ياسمين للعيش معه ويطلب من والدته أن تتطلق من عماد فهو لم يتغير أبدًا بل يزداد سوءًا، أما ياسمين كانت قد بلغت الرابعة عشر من عمرها وزادت مهارتها بصناعة الأشياء اليدوية وبدأت أيضًا تبيع بعض أشغالها.

كان يوم شتوي بارد جدًا والثلج يتساقط بغزارة، في ذلك المساء كانت ميسون تسرح شعر ياسمين عندما دخل عماد وهو يخبرها أن تطلب من سيف بعض المال لأجله، وكان سيف يصرف على ياسمين منذ ترك الدراسة وبعدما تحسن عمله أصبح يعطي ميسون أيضًا المال رغم أنها تعمل بالخياطة وتصرف على ياسمين معه وخفت كثيرًا المصاريف على عماد بالذات أنه لم يرزق بأي أطفال من ميسون، جلس بجانبها وأخذ يستعطفها:

- يوجد مشروع برأسي وأحتاج لمبلغ معين كي أنفذه وسيعود المشروع علينا بالكثير من الخير ور اتبي لا يكفي لذلك اطلبي منه أن يقرضك بعض المال.

نظرت له ميسون.

- لكن سيف بالفعل يعطيني المال ويصرف على ياسمين معي و أيضًا لديه إيجار الغرفة التي يسكن بها و أنت راتبك جيد ولا يوجد عليك الكثير من المصاريف لذلك لا أظن أنك بحاجة للمال من سيف.

انفعل بها:

-أخبرتكِ أن برأسي مشروع وسأحقق من خلفه الكثير من الأرباح كل ما أريده هو مبلغ من سيف هل تستكثرينه علي و أنا قد أبقيته في منزلي عدة سنوات وما زلت أعتني بشقيقته أيضًا رغم إعاقتها.

نظرت له ياسمين وتحدثت بقهر:

- أبقيته بمنزلك لكن كنت تستمر بضربه وتهينه وتهين أمي ومنذ سنوات لم تصرف علينا أبدًا ورغم هذا تريد الآن المال منه رغم أنه يتعب كثيرًا ورأى منك الويل وتعايرني بإعاقتي!

اقترب منها عماد وصفعها بقوة جعلتها تسقط عن الأريكة وصاح بغضب:

- يبدو أنكِ تعلمتي قلة الأدب من شقيقك لكن أنا أعرف كيف سأجعلك تستقيمي مجددًا.

كانت ميسون قد اقتربت منها وضمتها وهي تبكي وتصرخ به لكن لم يكترث بل أبعدها بقوة عن ياسمين ليسحبها من شعرها وينهال عليها بالصفعات بينما تصرخ بألم، بهذه الأثناء كان سيف قد وصل لأمام باب المنزل ومعه أشياء تحبها ياسمين وهم ليطرق الباب لكنه شعر بالدماء تغلي بعروقه عندما سمع صوت صراخها وبكائها وهي تطلب من عماد أن يتوقف عن ضربها وميسون تبكي وتترجاه ليفلتها، طرق الباب بجنون فهرعت ميسون سريعًا نحو الباب وفتحت له، سقطت الأغراض من يده ودخل كالمجنون للمنزل ليجد أخته تنزف من أنفها وفمها أسفل يديّ عماد، اقترب منه وأمسكه بثيابه ليسحبه للخلف بقوة ويبعده عن ياسمين ثم اقترب منها وهو يمسح على وجهها

بذعروغضب وكانت تبكي وتستنجد به، استقام عماد مجددًا و اقترب منه ولكمه على وجهه هنا كان سيف قد وصل لقمة غضبه فوقف ودفعه ليسقط أرضًا وقبل أن ينهض مجددًا كان قد أمسك زجاجة مياه موجودة على الطاولة وانهال بها على رأس عماد الذي صرخ بألم وتعالت صرخات ياسمين وميسون بذعر، أمسكه سيف بتلابيبه وجلس فوقه ينوي إقحام طرف الزجاجة الحاد برأسه لكنه توقف عندما طلبت منه والدته أن يتوقف فبقيت يده معلقة بالهواء وصدره يعلو ويهبط، ضغط على الزجاجة فتحطمت بيده وجرحته بينما كان عماد قد أغمى عليه، أفلته ووقف ليخرج مفتاح الغرفة من جيبه وأعطاه لوالدته

- اذهبي إلى الغرفة سأخذ ياسمين إلى المستشفى.

حمل ياسمين على ظهره وخرج يركض بها نحو المستشفى وكانت بحالة كارثية بينما تابعته ميسون بنظرها وهي تبكي وقلقة عليه ثم نظرت لعماد الملقى أرضًا ولم يكن أمامها

أيّ خيار سوى أن تطلب الإسعاف وغادرت قبل أن يصلوا وقد أبقت باب المنزل مفتوحًا.

وصل سيف للمستشفى وتم إدخال ياسمين سريعًا لمعالجتها نظرًا لحالتها السيئة وأخبروه أنها ستبقى هنا وسيتم التحقيق بحالتها لكن سيف لم يكن بحالة جيدة ليقول شيء بل خرج من المستشفى وسار بالشوارع هائمًا على وجهه لكنه تعب ليس من السير بل من مصارعة الأيام وفشله بأن يبقي شقيقته الصغرى بأمان ويحفظ كرامة والدته التي عانت كثيرًا، اليوم شعركم هو ابن وأخ فاشل ولم يكن أبدًا بطلًا كما تخبره ياسمين، جلس على قارعة إحدى الطرق بحالته المزرية تلك، يداه وثيابه ملطخة بالدماء ولم يكن قد عالج إصابته فهو فقد الشعور بالألم لأن الألم الذي بداخله يفوق أيّ ألم آخر، أخرج هاتفه ونظر لشاشته بعيون مغبشة بسبب الدموع التي احتبست بداخلها، اتصل على غياث الذي أجاب بعد رنتين:

- أهلًا هل أنهيت عملك وتريد أن نخرج كنت سأتصل بك..

قاطعه سيف بصوت متحشرج:

- غياث ساعدني.

شعر غياث بالقلق الشديد على صديقه.

- ما الذي حدث أين أنت؟

أجهش سيف بالبكاء:

- أنا في شارع عام لا أرى أمامي سوى الكثير من السيارات التي تمر بسرعة.

- أرسل لي الموقع بسرعة أنا قادم.

أنهى سيف المكالمة وأرسل الموقع لغياث الذي كان قد خرج من المنزل وركب سيارة والده ليتجه نحو الموقع الذي أرسله سيف ولم يأخذ الكثير من الوقت حتى وصل له، نزل من السيارة و اقترب من سيف الذي كان ينظر للفراغ أمامه وحالته آلمت قلبه بشدة.

- سيف ما بك؟

نظر له و انخرط بالبكاء مجددًا فعانقه غياث وهو يربت على ظهره.

- ما الذي حدث أخبرني هل تشـــاجرت مع زوج والدتك مجددًا؟

- أنا مجرد فاشل لستُ بطلًا ولم أكن أخًا رائعًا لياسمين أو ابنًا صـــالحًا لوالدتي لطالما كنت فاشـــلًا لا أجيد فعل شيء وما زلتُ كذلك.

كان يتحدث ويبكي بحرقة.

- لماذا تقول هذا؟ أنت لست فاشل لا تقل هذا عن نفسك.

نظر له ســـيف وأخبره بما حدث ليشـــعر غياث أيضًـــا بالغضب عندما عرف ما فعله عماد بياسمين.

- أنت لم تخطئ وأيّ شخص مكانك كان سيفعل ما فعلت وصدقني أنت لست فاشل بل أنت أخ رائع و ابن صالح أيضًا وصديق لا يعوض لذلك توقف عن جلد ذاتك والآن هيا لنأخذ نحن الخطوة الأولى قبل عماد.

وقف وأمسك بيد سيف ليسحبه ويقف ثم ساانده ليستقيم بشكل جيد وأردف:

- أنا بجانبك لا تقلق سيكون كل شيء على ما يرام.

هز سيف رأسه وسار مع غياث ليركبا بالسيارة، ذهبا للمستشفى و اتصل غياث بهذه الأثناء بوالده وأخبره بشكل سريع عما حدث فجاء للمستشفى وهناك كانت الشرطة تحقق مع ياسمين وقاموا باستجواب سيف وشهد غياث ووالده بأن عماد كان دائمًا يضرب سيف، طلبوا حضور ميسون فذهب غياث وأحضرها وأخبرتهم بكل شيء عانته هي وطفليها مع عماد، انتهى الاستجواب وغادرت الشرطة، أوصل غياث والده وميسون لمنزلهم كي تبقى مع والدته غادة التي كانت قلقة عليها بشدة ثم عاد للمستشفى كي يبقى بجانب سيف وياسمين.

مر شهر على تلك الحادثة كان خلاله عماد قد طلق ميسون ولم يستطع أن يلحق الضرر بسيف فلقد تم الحكم بأنه ضربه ليدافع عن شقيقته وحكموا عليه

بالسجن لسنتين، استأجر سيف شقة ليسكن بها مع أمه وشقيقته وبدأت حياتهم أخيرًا تستقر بعدما غادرها عماد وأصبح سيف شاب مسؤول ويمكن الاعتماد عليه وكان بالطبع غياث يسانده طوال هذا الوقت.

مرت عدة سنوات وبلغا غياث وسيف السادسة والعشرون من عمرهما وقد نضجا كثيرًا، تخرج غياث وبدأ يعمل بتنسيق الديكورات وتصميم الأغلفة للكتب وكانت ياسمين تنتظر أن ينهي قراءة الرو اية التي كتبتها كي يصمم لها الغلاف بينما سيف كان مستقرًا بعمله ولم يكن قد وصل لذلك الوضع الممتاز لكن بازدياد راتبه أصبح على الأقل يؤمن حياة كريمة لأمه وشقيقته ولا يجعلهما محتاجتان لشيء ويسعى أيضًا بعلاج ياسمين التي ما زالت على حالتها، كانت الحياة تسير بوتيرة جيدة وما زالت صداقة سيف قوية بغياث الذي ما زال يتذكر طلبه للزواج من ياسمين بالحديقة قبل عشر سنوات ويفكر أن يتخذ خطوة جدية فهي الآن أصبحت بالواحدة

والعشــرون وشــابة جميلة جدًا ولا تزال تشــبه الياســمين برقتها.

تمر السنوات وتدور من حولنا الأيام بسرعة، تتغير الكثير من الأمور لكن بعض الأشياء جمالها ثابت، السحب في السماء، زرقة البحر، القمر والنجوم من حوله في ليلة حالكة السواد، وعيناكِ.

كان يوم ربيعي جميل تملأ الأزهار فيه الطرق ور ائحة الياسمين تفوح بالشوارع وبمنزل سيف كانت توجد ياسمينة شذاها يملئ المنزل جمالًا، في ذلك اليوم كانت ميسون تعد الغداء بينما ياسمين تسقي الأزهار التي على نافذة الصالة عندما سمعت طرقًا على الباب فخرجت ميسون من المطبخ.

- من؟

- أنا غياث خالتي.

- انتظر قليلًا بني.

توجهت ميسون نحو ياسمين وأعطتها حجابها لترتديه وارتدت أيضًا الحجاب ثم فتحت له الباب لترحب به بابتسامة وكان يحمل بيده حقائب بلاستيكية بها الكثير من الأغراض.

- ألم يأتي سيف؟

- ليس بعد لكن بالتأكيد هو بالطريق تفضل بالدخول.

- لا سأنتظر هنا لا أريد إحراجكما.

- لا تقل هذا أنت لست غريب هيا ادخل.

هز رأسه ثم دخل ليضع الأكياس جانبًا و اقترب من الصالة وهو يتنحنح لكن خفق قلبه عندما وجد ياسمين أمامه وكذلك هي كان قلبها قد بدأ يخفق منذ سمعت صوته وتفرك يديها ببعضها، رحبت به ثم حركت كرسيها ودخلت لغرفتها وكانت بقيت فقط لتراه قليلًا، حاول أن يغض نظره عنها ولا يتابعها بصعوبة ثم جلس على الأريكة وجلست أمامه ميسون وكان قد أتى لأنه يظن أن سيف بالمنزل فاليوم عطلته و اتصل به وأخبره أن يأتي ليتناول الغداء لكنه سيذهب ليحضر بعض الأشياء من السوق بسرعة وسيأتي قبل أن يصل لكن سبقه غياث، بعد مدة قليلة دخل سيف ليجد غياث أمامه.

- كنت أعلم أنني سآتي وأجدك.

- لماذا تأخرت ألم تقل أنك ستعود للمنزل قبل وصولي؟

- لقد صادفتُ صاحب صالة الألعاب التي كنت أعمل بها وتحدثنا قليلًا، داهمتني الكثير من الذكريات عندما رأيته.

- مرت سنوات كثيرة على تركك للصالة.

- أجل.

وقفت ميسون.

- سأجهز طاولة الطعام لن أتأخر بالتأكيد تشعران بالجوع الآن.

- بصراحة أجل لقد خرجت من المنزل دون تناول شيء كي أكل جيدًا من طبخك اللذيذ.

- و أنا أيضًا جائع بشدة لم أتناول شيء بعد السندويشة التي تناولتها قبل خروجي للسوق.

نظر له غياث.

- مسكين بالتأكيد عانيت كثيرًا خلال هذه الساعة.

أجاب سيف بحزن وبكاء مصطنع:

- أجل أجل كانت عصافير بطني تزغرد.

ضحكت عليهما ميسون ثم ذهبت للمطبخ فأمسك غياث بوسادة الأريكة ورماها على سيف ليصيبه برأسه.

- ياه لماذا؟

- لا شيء لكن رؤيتك تثير استفزازي.

- إذًا لماذا أتيت؟ يجب أن تكون شاكرًا لأنك ترى وسامتي دائمًا ومجانًا.

رمى غياث الوسادة الثانية عليه.

- تقصد يجب أن أندب حظي.

أمسك سيف بالوسادتين ورماهما على غياث بضربة مزدوجة فجز على أسنانه وبدأت حرب الوسائد بينهما ومهما مرت السنين سيبقى شيء واحد ثابت وهو مشاكستهما لبعضهما.

تناولوا الغداء معًا بينما ياسمين تناولت الغداء لوحدها في غرفتها وبعدما انتهوا جلسا في الصالة، أخبره غياث أن

يســـتدعي ياســـمين ليتحدث معها بشـــأن الغلاف فذهب سيف لغرفتها وأحضرها لتجلس أمامهما وهي تنظر ليديها كي تتحاشـى النظر لغياث الذي ارتبك بسـبب حضـورها الجميل، تنحنح غياث وقطع الصمت:

- لقد أنهيتُ قراءة الرو اية وأعجبتني بشدة لقد اندهشت حقًا بالأحداث وأظهرتي بها مدى مهارتكِ بالكتابة رغم أنها محاولتكِ الأولى.

- شكرًا لك.

ابتسم سيف وهو ينظر لها.

- لم أتوقع يومًا أنكِ ســتكتبين رو اية لكن ســعيد حقًا باكتشافكِ لهذه الموهبة لديكِ وفخور بكِ جدًا.

بادلته ياسمين الابتسامة.

- كل هذا بفضلك.

أخرج غياث هاتفه من جيب بنطاله ثم فتحه ليضع شيء على شاشته ومد يده به.

- هذا الغلاف أتمنى أن ينال إعجابك.

أخذت منه الهاتف ونظرت للغلاف لتبتسم.

- إنه رائع ومناسب جدًا شكرًلك.

- لا داعي للشكر المهم أنه أعجبك.

نظر سيف للغلاف أيضًا وأعجبه بشدة وبعدما تأكد من إعجاب ياسمين بالغلاف وقررت أن تعتمده لرو ايتها دخلت لغرفتها بينما بقي لبعض الوقت ثم غادر.

ركب غياث سيارته ولكنه فجأة شعر بصداع شديد وخدر بجانبه الأيمن مع تشوش بنظره ولم تكن هذه المرة الأولى التي تحدث معه هذه الحالة فلقد حدث هذا مرتين سابقًا و أيضًا بدأ ينسى كثيرًا لكن لم يخبر أحد بما يحدث معه ولم يعر الأمر أيّ أهمية، بقيَ وقتًا دون أن يتحرك حتى هدأت هذه الحالة ثم تحرك وعاد للمنزل.

مر شهر ونشرت ياسمين رو ايتها ولاقت رواجًا لا بأس به وكانت سعيدة جدًا بهذا وكذلك سيف الذي كان قد بدأ

يقلق على صـديقه فلقد لاحظ مؤخرًا أنه ينسـى كثيرًا ولم يعد يلتقيه كما السـابق ويشـعر أن به خطب ما وكلما حدثه عن ذكرى يخبره أنه لا يتذكر جيدًا، بعد مرور شـهر آخر كان سـيف قد قابل غياث مرتين فقط وبدى متغيرًا جدًا وكأنه شخص آخر وذات يوم بينما كان جالسًا بغرفته في الليل يقلب بهاتفه وصـلته رسـالة من غياث ففتحها ليجده مقطع مصـور فتحه ليجد غياث يظهر به جالسًـا على أريكة ويخاطبه:

- صـديقي لا بل أخي سـيف عندما يصـلك هذا الفيديو سـأكون بالكاد أتذكر بعض الأمور أعذرني لأنني تغيرت بآخر فترة صـدقني أنا لم أتغير لأنك لم تعد مهمًا بالنسـبة لي بل على العكس كنت دائمًا الشـخص المفضـل والعزيز لدي لكن يا صـديقي في الفترة الأخيرة بدأت أنسـى الكثير من الذكريات ولا أتذكر حتى الأمور التي تخبرني بها وتأتيني حالة من عدم التركيز والصداع وأشياء أخرى فاضطررت للذهاب إلى الطبيب واكتشفت أنه لدي التهاب في الدماغ.

صمت قليلًا وأخذ نفسًا ثم أكمل:

- هذا الالتهاب سيجعلني أفقد الكثير من الذكريات وقد أنسى كل ذكرياتنا ولا أتذكر حتى الأشخاص حولي لذلك إن قابلتني يومًا ولم أتعرف عليك أرجوك لا تحزن مني فأنا وإن نساك عقلي ستبقى دائمًا بقلبي الصديق الرائع والذي لا يمكن تعويضه أبدًا، آسف إن نسيتك يومًا والآن وداعًا.

انتهى المقطع ومعه كانت دموع سيف تنهمر ولا يصدق ما سمعه، وقف سريعًا وخرج من غرفته ليغادر المنزل وركض كالمجنون نحو منزل غياث وطرق الباب ليفتح له والده، كان يلهث وعيونه دامعة.

- أين غياث؟

- إنه بغرفته.

أفسح له المجال فدخل وتوجه لغرفة غياث و اقتحمها ليجده جالسًا على حافة نافذة غرفته وكان يحب دائمًا

الجلوس هنا، نظرله غياث وتوقع قدومه.

- أهلاً.

اقترب منه سيف ولكمه ثم أمسك بتلابيبه وهو يصرخ به ببكاء:

- لا تمزح هكذا أنا متأكد أنها خدعة منك كي تستفزني إنها مزحة أليس كذلك؟

ابتسم غياث بألم ونظرله:

- ليتها كانت كذلك.

ارتخت قبضة سيف.

- ماذا تقصد؟

- لم تكن مزحة بل هذه الحقيقة.

كان سيف يهزرأسه نفيًا يأبى التصديق.

- لا، لا يمكن هذا لا يمكن أن تنسى كل شيء ببساطة.

- ما زلت أتذكرك على الأقل.

- سأقتلك صدقني سأقتلك إن نسيتني ونسيت صداقتنا وكل ما يتعلق بها.

اقترب منه غياث وعانقه كما لو أنه يودعه باعتباره صديق فهو يعلم أنه سيأتي يوم لن يستطيع التعرف عليه، انخرط سيف بالبكاء وتشبث بصديقه كما لو أنه يخبره ألا يرحل بذاكرته ويتركه وحيدًا.

مرت عدة أشهروفي مساء خريفي كئيب كان سيف جالسًا أمام ياسمين التي أصبحت قليلة الكلام وحزينة دائمًا ويعلم جيدًا السبب، رن هاتفه فأمسكه ليجد شاشته تضيء باسم غياث فأجاب بسرعة ونظرت نحوه ياسمين بلهفة فلقد هتف سريعًا باسمه، عندما أجاب سمع صوت سيارات كثيرة.

- غياث أين أنت؟ هل أنت بخير؟

أتاه صوت غياث منهكًا:

- ساعدني.

انقبض قلب سيف وشعر أنه يعرف أين مكان غياث.

- أنا قادم.

خرج من المنزل وركب سيارة أجرة ليذهب حيث جلس ذات مرة يبكي وهو بحالة مزرية وكان شعوره بمحله، نزل من السيارة ليجد غياث جالسًا بذات المكان الذي جلس به يومًا وهو بحالة سيئة، كان يوجد دماء على جبينه وعينيه نصف مغلقة وسيارته بعيدة قليلًا ويبدو أنه افتعل حادث بسيط بها، اقترب منه سريعًا وجلس أمامه فرفع غياث نظره له وكان نصف واعيًا بينما سيف ينظر له بحرقة، تحدث غياث بتعب:

- هل أنت صاحب رقم اتصل بي دائمًا.

أخفض سيف رأسه وهو يمسك دموعه وكان قد سجل اسمه هكذا بهاتف غياث كي يتصل به كلما احتاج لمساعدة فهو بالفعل نسي أغلب ذكرياته لأن دماغه متضرر جدًا وتساقطت ذكرياته واحدة تلو الأخرى كأوراق الشجر المتساقطة على أطراف الطرقات.

هزرأسه بأجل.

- أجل أنا هو.

- لقد نسيت الطريق لمنزلي لا أعرف كيف سأعود هل يمكنك أن تأخذني إليه؟

كان يتحدث بشكل متقطع ونظره مشوش جدًا.

- بالتأكيد سأخذك.

- شكرًا.

أغمض غياث عينيه ويبدو أنه فقد وعيه بينما جلس سيف أمامه على ركبتيه ورفع رأسه للسماء ودموعه تنهمر بغزارة، أعاد نظره لصديقه الذي نسيه وتحدث بحرقة:

- كيف أطاعك قلبك أن تنساني؟ كيف نسيت صداقتنا وكل ذكرياتنا بهذه البساطة وكأنها لم تكن يومًا؟ لقد كنت دائمًا متقمصًا اسمك وتغيثني فلماذا تركتني الآن وحيدًا أتخبط بنفسي وتركت ياسمين التي ذبلت بعدما نسيتها، لماذا وعدتها بالزواج إن كنت ستنساها؟

أجهش بالبكاء ثم أكمل بقهر:

- أخبرني كيف سأقابلك بعد الآن ولا تركض نحوي متلهفًا لأنني صديقك المقرب؟ كنت دومًا الجانب المشرق بحياتي المظلمة كيف أصبحت الآن سبب كل الحزن بداخلي؟

اقترب سيف وضم غياث لينخرط ببكاء شديد أخرج به كل الحزن بداخله.

- كنت مغيثي دائمًا يا غياث، ومن الآن سيف صديقك سيكون كالسيف بظهرك.

تمر السنوات وبعض الأشياء ثابتة مثل ياسمين التي بقيت زهرة معلقة دون أن يقطفها غياث لتنثر شـــذاها في حياته كما حلما بهذا يومًا.

النهاية